

نماذج من كتابات حول كمال يوسف الحاج

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

كتاب "ديكارت" لكمال الحاج ليس قصّة حياة ديكارت، وليس هو دراسة عميقة عريضة لفلسفته، كما أنه ليس دراسة لأثر التفكير الديكارتّي في العالم. فما "ديكارت" كمال الحاج إلّا محاولة جريئة، ومُسرّفة في الجرأة، قلّ أن أقدم عليها أحد قبله... إنّ المؤلّف مقتنع تمام الاقتناع، أو يكاد... أنّ اللغة العربيّة عاجزة حقًّا، في وضعها الحاليّ على الأقلّ، عن أن تكون "لغة فلسفيّة"، وعن أن تنهض بتأدية ما تؤدّيه سائر اللغات للفلسفة. قلت: في وضعها الحاليّ، لأنّ الدكتور الحاج يؤمن إيمانًا لا يتسرّب إليه الريب في "إمكانات هذه اللغة الأدائيّة"، غير أنّه يدعو إلى تطوير هذه اللغة، معتبرًا أنّ "ماضيّ" اللغة العربيّة لا يغني عن هذا التطوير... ولم يكتفِ الدكتور كمال الحاج بالدعوة إلى "تطوير" اللغة فحسب، بل أحبّ أن يكون هو قائد هذه المغامرة... ولم يضع الدكتور كمال الحاج مؤلّفه هذا إلّا تحقيقًا لرغبته تلك في أن يكون حقًّا قائد المغامرة... قلت في مطلع هذا الفصل إنّ ما أقدم عليه كمال الحاج هو مغامرة. وقلت إنّ هذه المغامرة هي، ككلّ مغامرة، قد تؤدّي بصاحبها إلى ما قد لا يرضى عنه ولا يرضيه، ولا يرضى عنه صحبه وخلائه ولا يرضيهم. غير أنّي ما بغضت يومًا المغامرين ولا تنكرت لهم ولا شئت بهم إذا ما أدت بهم مغامرتهم إلى ما يسوءهم ويسيء إليهم، لأنّي كنت أرى دائمًا أنّ عجلة المدنيّة ما اندفعت يومًا إلى الأمام إلّا على أيدي المغامرين، هؤلاء الذين يسيرون دماءهم وعرق جبينهم ونور عيونهم في ركاب فكرة آمنوا بها فأحلّوها منهم محلّ الروح من الجسد والنور من العين. فإذا لم يكن لنا "كمال الحاج" كان علينا أن نوجد "كمال الحاج". أمّا وأنّ كمال الحاج هو لنا، وهو يقوم بقيادة مغامرة من أروع المغامرات التي شهدتها الفكر العربيّ والأدب العربيّ - نعم الأدب العربيّ-، فما علينا إلّا أن ندعو لهذا الشابّ بكلّ توفيق، وأن لا نقصّر عملنا على الدعاء إذا استطعنا إلى غير الدعاء سبيلًا.

جوزف باسيلا،

مجلة الحكمة، "كمال الحاج المغامر"، بيروت، السنة الثالثة، العدد ١١، أيلول ١٩٥٤، ص ٩-١٠، ١٢.

####

منذ "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" للإمام عبد القاهر الجرجانيّ (المتوفّى سنة ٤٧١ هـ)، لم يظهر في اللغة العربيّة كتاب تناول معضلة اللغة في مدياتها الفلسفيّة كالذي وضعه الدكتور كمال يوسف الحاج، الأستاذ في الجامعة اللبنانية... الشيء الأكيد هو أنّ كتاب "في فلسفة اللغة" يعتبر أقوى دفاع فلسفيّ يلقبه مفكّر لبنانيّ عن اللغة العربيّة... وقد جاء... بمثابة قاعدة لإحياء حركة فلسفيّة تكون اللغة العربيّة قلبها الأوحده.

تقدم على الثنية الداخليّة لتجليده كتاب فلسفة اللغة لكمال يوسف الحاج، الطبعة الثانية، بيروت، دار النهار، ١٩٦٧.

####

كان إيمانه أقوى الإيمان، إيمان البسطاء لا الحكماء، والأطفال لا الفلاسفة... واستلهم إيمانه برّته ووطنه لبنان مواقف ناضل دونها... ولم يتننه عنها تهديد أو وعيد إيماناً منه بأنّ حرّية الفكر هي أعلى ما حبا الله الإنسان من عطايا وأتمن ما يملك وطن كلبنان من كنوز... وقضى، رحمة الله عليه، شهيد هذه الحرّية الفكرية... وهذا مصير المناضلين من أصحاب المدارس الفكرية الذين يظنّ من أزالوهم من الوجود أنّهم أطفالاً شعلة كانوا يحملونها فإذا بهم يزون أنّها بعد مقتلهم قد ازدادت تألّقاً وإشعاعاً. وفاتهم أنّ أمثاله من أصحاب العقيدة والإيمان، وإن غابوا عن الأبصار فهم ماثلون أمام البصائر، أحياء في الخواطر، خالدون عند الله وفيه.

مار أنطونيوس بطرس خريش،

من رقيم تأيينيّ خلال الإحتفال التكريحيّ بمناسبة الذكرى السنوية الثانية لاستشهاد كمال يوسف الحاج، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الثاني، الفنار، ١٩٧٨/٤/٧.

####

كان للبنان في قلب كمال الحاج صورة، من معانيها الحرّية والإباء... روح الإخاء والانفتاح، ليظلّ وطننا المفدى... ملاذاً للحريّات، ومعقلاً للعزّة والحقّ، ووطناً للإنسان. هذه المشاعر الكريمة... أكبر بتلاقيها طبيعياً في كمال الحاج، مع غنى في الروحانية كبير، على صدق في الممارسة. إذا حدّثك عن الصلاة تفرقت عيناه بالدمع... فتشعر بصدق العقيدة يتعدى مجرد العقل... كان مدرسة مكتملة المعاني والمعالن، وحسبها نبلاً أنّ في أساس قوامها الصدق.

بطرس ديب،

الإحتفال بالذكرى السنوية الثانية لاستشهاد كمال يوسف الحاج، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الثاني، الفنار، ١٩٧٨/٤/٧.

####

إنّ كمال الحاج. يفاجئك بالمعنى البكر، والمنطق الطريف، والقياس المبالغت، والإنشاء المستحدث، وكأنّه عالم مكنون، وكون مرصود، لا يدخله إلّا الأخصّاء الأصفياء، فلا يأنسون به إلّا بعد أن تتعود عيونهم تلاحب الأضواء والظلال، وتألّف آذانهم تعاقب نبرات الأنغام وفترات السكون. يرود فكره المعالن والمجاهل حتّى أقصاها، ويضرب خياله في الآفاق اللامتناهية... هذه الحياة الموقوفة كلّها على خدمة الفكر اللبناني... كان لها - على ما قدر الحقّ سبحانه وتعالى - أن تُختتم في سبيل لبنان، بمعمودية الدم، بالشهادة الكبرى.

فؤاد أفرام البستاني،

الإحتفال بالذكرى السنوية الثانية لاستشهاد كمال يوسف الحاج، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الثاني، الفنار، ١٩٧٨/٤/٧.

####

في مؤلفه عن هيغل نقرأ للفيلسوف واللاهوتيّ الشهير كارل بارت: أن تُمرّر مرور الكرام أمام فيخته وشيلنغ، فأمر ممكن، ولكن من غير الممكن أن لا نتوقّف أمام كمنط وهيغل. والأكيد الثابت أنه، من الآن فصاعداً، غير ممكن التفكير بالفلسفة اللبنانية من دون التوقّف طويلاً أمام شخصيّة كمال الحاج بمؤلفاته وضريحه. فضريحه قسم من شخصيّته، وربما كان القسم الأفضح عن الحقيقة والأزخر بالحياة.

الأب أسطفان صقر،

من كلمة تأبينيّة ألقاها بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنويّة الثانية لاستشهاد كمال يوسف الحاج؛ أقيم الاحتفال في الفنار، في الجامعة اللبنانيّة، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، الفرع الثاني، الجمعة ٧ نيسان ١٩٧٨. أعيد نشر هذه الكلمة كاملة في مجلّة النهار العربيّ والدوليّ، العدد ٣١٠، ١١-١٧ نيسان ١٩٨٣، ص ٥٣.

####

أبعد من مؤلفاته الفلسفيّة، أبعد من كلّ كتاباته، سيبقى كمال الحاج رجل البساطة والعفويّة والحوار، متواضعاً حتّى الانحناء وديموقراطيّاً حتّى الدوار. إنّ خير ما تركه الدكتور الحاج، بالإضافة إلى رجولة له في تناول المسائل الفلسفيّة، هي تلك الروح الديموقراطيّة التي شدّد عليها في تعليمه الفلسفيّ والتي تمثّلت في هذه الاتجاهات الفكريّة والسياسيّة المتعدّدة التي نجدها اليوم عند طلابه. إنّ التنوّع الفكريّ والسياسيّ عند مفكرين وأساتذة وباحثين أمثال ناصيف نصّار وموسى وهبه وإلهام منصور وغسّان خالد ونخلة فريفر وناهدة الطويل وبطرس حبيب، والعديد غيرهم، لمو خير دليل على عظمة الرجل واستمراريتّه.

بطرس حبيب،

"موقع كمال الحاج في الفلسفة اللبنانيّة"، محاضرة، [م.د.]، ٤ أيار ١٩٨٣.

####

يبقى كمال الحاج المدماك الأساس في بناء القوميّة اللبنانيّة. والذين سيأتون من بعده سيعرفون أهمّ يبنون على صخر إذا ما استلهموه في كلّ ما كتب.

الأب جورج رحمه،

"كمال الحاج والمسألة القوميّة"، محاضرة، [م.د.]، ٢٦ نيسان ١٩٨٣.

####

أريد التشديد على همّين أساسيين شغلاه، همّ الكشف عن فلسفة متأصّلة في التراث والمنحى اللبنانيين، وهمّ التشديد على ما سمّاه "المسيحيّة المعتدلة"، التي وجدها متجسّدة في بكركي... واضح أنّ هذين الهمّين يبعان من همّ أصيل واحد، وهو التفتيش عن ذاتيّة لبنانيّة مميّزة... من هنا تفتيشه القلق عن فلسفة لبنانيّة خاصّة... إني أعتبر هذا التفتيش همّاً شريفاً ومجدياً... وهذا

يستدعي تصوّر رسالة يهيئها لبنان ويركّبها ويقولها لنفسه ولحيطه وللعالم، رسالة كيانية تُسمَع ويؤخذ بها. إنّ وعي لبنانية لبنان، عالمياً وفي ذاتها، هو المطلب الأوّل اليوم. وعندني أنّ كمال الحاج كان من الرواد الذين أسهموا في توعية هذا الوعي.

شارل مالك،

مجلة النهار العربيّ والدوليّ، ملفّ خاصّ حول كمال يوسف الحاج في ذكرى رحيله السابعة، العدد ٣١٠، ١١-١٧ نيسان ١٩٨٣، ص ٥١-٥٢.

####

على كثرة ما كتب العاشقون لأمّ اللغات [=اللغة العربيّة] من رسائل تروي محاسنها وفضائلها، وفي طليعتهم نصارى لبنان الذين ترتبط باسمهم نعضتها الحديثة كآل اليازجي وآل البستاني والأب الكرملّي البغداديّ، وهو من أصل لبنانيّ، فإنّ كمال يوسف الحاج يتفوّق عليهم جميعاً في أنّه كتب ما كتب لا من باب اللغة بل من باب الفلسفة... ولا شك أنّ كتاب "في فلسفة اللغة" ليس حصيلة أعمال عقلٍ وعلم فقط، بل حصيلة أوقات الخطاف وذهول ورؤى. ولم يتوسّل مؤلّفه وسائل المناطقة والفلاسفة فقط، بل أيضاً أساليب الشعراء والعزّافين القدامى الذي كان لكلّ منهم شيطانه الشعريّ الخاصّ. ثمّة روح سحرية، مبعوثه في الكتاب، تجّوس حروفه وكلماته وسطوره. فكأنّ أمّ اللغات تتحدّث عن نفسها، تكتب تاريخها الأبلج الأغرّ الميضّر المتواصل الذي تحطّي قانون الكون والفساد، والذي مخارجه منذ القديم، منذ أيّام الأزل... مات كمال الحاج، ولكنّ كتاب "في فلسفة اللغة" لم يمت ولن يموت.

جهاد فاضل،

مجلة الحوادث، بيروت، العدد ١١١٧، ٣١ آذار ١٩٨٧، ص ٧٠-٧١.

####

عرفت الدكتور كمال يوسف الحاج في بداية الخمسينات في صفّ الفلسفة. أمثولاته متعة للأذن ووليمة للعقل. يستوقفنا عند كلّ كلمة. يشرحها. يحللها. يعيدها إلى أصلها اللغويّ. يفلسفها. بمعنى أنّه مع الدكتور كمال الحاج، وأثناء إلقاء أمثولاته، لم يكن باستطاعتك أن ترسل الكلمات على عواهنها. لا أزال أذكره، وسوف أظلّ، لأنّ له عليّ فضلاً كبيراً. فهو أحد أستاذين تركا في نفسي أعمق الأثر، ورفعنا التعليم في لبنان إلى مرتبة العلم الجامعيّ العالميّ: الدكتور كمال الحاج في الفلسفة والفكر، والدكتور البارّ [ألبرتوس] فان دين بروندين في التاريخ والفيلولوجيا النقدية والروح.

الأباتي بولس نعمان،

مجلة الحكمة، بيروت، العهد الثاني، السنة الثالثة، العدد ٢٤، نيسان ١٩٩٦، ص ١١٤.

####

أذكره كلّما ذكرت لبنان، وكلّما ذكرت الأرز وصنّين وحرمون، أو ذكرت الكلمة الحضارة والتراث، أو الإيمان العميق الشامل النابع من جراح الأرض... كمال الحاج سافر في الظلال ولم يرغب، وتوقّف على قمة ولم ينته، ولن يكون لبنان الحقيقيّ إلا كما رسمه كمال الحاج... إنّه بعض من لبنان وباقي ببقائه.

رفيق غانم،

مجلة الحكمة، بيروت، العهد الثاني، السنة الثالثة، العدد ٢٤، نيسان ١٩٩٦، ص ٩٦.

####

كان أستاذي في بداية السّتينات في الجامعة اللبنانية. وأذكر له، في تلك الفترة، سعة صدره في مسائل العلم. كنّا شبيهاً مقبلين على الرّائج في تلك الأيّام، الوجوديّة والماركسيّة... كنّا "عقديّين" في الفلسفة... يرّد دائماً على مسامعنا: "حلّوا لي مشكلة الموت وأنا معكم." ومن كلماته الباقية: "لا تصحّ نظرتكم إلا في مجتمعات صغيرة، أمّا الكبيرة فتحتاج إلى غير ذلك." أمّا المدهش فيه فقدرته على استيعاب المختلف وقبول الآخر كما هو، فلا يتأثر بما نعتقد عند تصحيحه أعمالنا أو تقويمها مع كلّ امتحان. وأذكر له أنّه هو الذي سعى إلى تخصيصي بمنحة للتخصّص العالي في باريس.

من أقواله الكبيرة التي ما كنّا وقتئذٍ نفهمها تماماً: "أمّتي عربيّة... قوميتي لبنانيّة". والمدهش أنّ اللبنانيين لم يخرجوا من الحرب إلا حين توافقوا على صيغة نثرية لهذا الكلام الشعريّ في الطائف، ففيه: "لبنان وطن نهائيّ عربيّ الهويّة والانتماء..."

علّمنا أنّ لا فلسفة من دون حرّيّة. وعلّمنا أنّ "نظن" الفلسفة بالعربيّة، وكان مبادراً سباقاً في هذا الاتجاه. فاشتقّ أوزاناً، أذكر منها وزن "فعلن"، الذي صار دارجاً جداً في ما بعد. وابتكر مصطلحات جديدة، ورفع ألفاظاً شائعة إلى مستوى المصطلحات الفلسفيّة. وكتب وترجم عن ديكارت وبرغسون وسارتر بلغة سلسلة على أناقة. أمّا خدماته للغة الفلسفيّة العربيّة، فلم تقدّر بعد حقّ قدرها، وأمّنتي أن يتمكّن دارسو الفلسفة من طلابنا فيتابعوا اهتماماته...

عرض أمامي بعض الوثائق والطروحات على أنّها مشروع حزب جديد لإنقاذ البلاد من الحرب الطائفيّة. وأذكر أنّ مضمونها كان توافقيّاً، في خطّ يتّصل باهتماماته الفلسفيّة السابقة، أي "بالنصلاميّة" التي أطلقها... وأعرف أنّه كان يزور فاعليّات جامعيّة، ويعرض على محاورين مشاريعه التوفيقية، مجاهرًا بأنّه ضدّ العنف المسلّح في لبنان... كنّا متفقين على نبد العنف على الرغم من أنّي ما كنت قد خرجت تماماً من صفوف اليسار في تلك الفترة.

أمّا المسألة الروحيّة، فلقد كان فيها أبعد نظرًا منّا جميعاً، فبرى أنّ البعد الروحيّ للإنسان لا يمكن اختزاله بعلمانيّة مفتعلة. في هذه النقطة كان ثاقباً جداً، وهذه من جملة الأمور التي يجدر التوقّف عندها في فلسفته. فقد آمن باستحالة إلغاء هذا البعد، وقوله مشهور في هذا المجال: "أنتم، العلمانيّين، تتعسّفون." كان على حقّ. ويستند في فكرته إلى الآية الإنجيليّة: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان"، متوسّعاً في شرح دلالاتها الفلسفيّة.

اغتياله لا يمكن أن يوصف بأقلّ من فعلة جن وجاهل... أشهد أنّي، في ما بعد، امتنعت عن توقيع بيانات الاستنكار للاغتيالات التي أعقبت اغتياله ما لم تتضمن استنكاراً لاغتيال كمال الحاج.

إنّ اغتياله أكّد لي أنّ ثمة معنى إنسانياً يتقدّم أبداً على كلّ سياسة.

موسى وهبي،

مجلة الحكمة، بيروت، العهد الثاني، السنة الثالثة، العدد ٢٤، نيسان ١٩٩٦، ص ١٠٠-١٠١.

###

فيلسوف راء نبويّ، يعيش كلّ كلمة كتبها، إلى درجة أنّه كان يستشفّ المستقبل... أجمل قراءاتي عن يسوع المسيح وعن الإنجيل كانت ما كتب كمال الحاج... أستاذ رائع، وباحث عميق، ومفكّر ملتهب، متوهّج، صاحب لغة رائعة... أولد كمال الحاج فكراً فلسفياً لبنانياً ولغة فلسفيّة جديدة.

الأب يوسف مونس،

مجلة الحكمة، بيروت، العهد الثاني، السنة الثالثة، العدد ٢٤، نيسان ١٩٩٦، ص ٨١.

###

فيلسوف لبنان

مار نصر الله بطرس صفير،

من رقيم تأييني بمناسبة الإحتفال بالذكرى الثلاثين لاستشهاد كمال يوسف الحاج وإطلاق مشروع طباعة مؤلفاته الكاملة، ٢١ آذار ٢٠٠٦.

###

كمال يوسف الحاج، ابنُ الشبانية العزيزة، جوهرٌ لبنانيٌّ وصفها عارفوه بالعمق، من خلال كتاباته وفكره، بألقابٍ هي بمثابة إكليلٍ مجدٍ على رأسه، فهو:

١. فيلسوفُ اللّغة العربيّة، وقد وضع كتاب "فلسفة اللّغة" الذي سطر فيه أرفع دفاعٍ فلسفيٍّ عنها وعن وزنها الأنطولوجي في الشخصية اللبنانيّة...

٢. سقراط لبنان، كما كناه طلابه في الجامعة اللبنانيّة التي وضع كِبنتها الأولى مع حُفنةٍ من الرّواد، وتولّى رئاسة قسم الفلسفة فيها لمُدّة سبعِ عشرة سنة...

٣. فيلسوف القوميّة اللبنانيّة، هو الذي رفع فلسفةً عقديّةً راسخةً للقوميّة اللبنانيّة، وقال: "إذا كانت الفلسفة هي التي قادتني إلى القول بقوميّة لبنانيّة، فالقوميّة هي التي ساقطني، بدورها، إلى القول بفلسفةٍ لبنانيّة"...

٤. فيلسوف الميثاق الوطني ... لقد وُحّد كمال الحاج بالحروف ما يصعب توحيدُه على أرض الواقع المزري، إلا في عيون النفوس الكبيرة. فابتكر كلمة "النصّلامية" الدّاجمة بين مسيحيّة الناصريّ وإسلام المصطفى...
٥. بول كلوديل الشّرق، هكذا سمّاه صديقُه وقارنُه الغائصُ في فكره، البطريك الكردينال بولس بطرس المعوشي، الذي كان الفيلسوفُ كمال قد سمّاه: "عميد لبنان"...
٦. فيلسوفُ لبنان. هو اللّقبُ الذي أطلقه عليه صاحبُ الغبطة والنيافة البطريك الكردينال مار نصر الله بطرس صغير، ويعني لبنان الذات والرسالة والتاريخ، وأحلام كمال الحاج اللامتناهية.
٧. الفيلسوف مدى الأجيال، لقبُ طالع من قلب رئيس الجمهورية الراحل الياس سركيس، ابن الشبانة ورافع اسمها، نسيب الفيلسوف ورفيق العمر. قال ذات يوم بتواضعٍ كلّيّ: "أنا ابنُ الشبانة. ستأتي الشبانة على ذكرى في عهدي لست سنوات، وربما لبعض العقود بعدها. ولكنّها لن تنسى كمال فيلسوفًا مدى الأجيال." أجل! كمالُ الحاج يزداد تألّفًا وإشعاعًا يومًا بعد يوم، وجيلًا بعد جيل، بفكره وفلسفته ونتاجه. وهو خالدٌ عند الله، وبيننا.

مار بشاره بطرس الراعي،

في احتفالية إطلاق مؤلّفات كمال يوسف الحاج الكاملة التي أقيمت في جامعة سيّدة اللوزية في إطار أيام كمال الحاج، ٢٩ آذار ٢٠٠٦.

####

يلعب اللغة، صقلًا ونحتًا، فتسأل: أبقلم يكتب أم يازميل؟ وتحار: أصحاب وحي هو، أم خازن موسوعات؟ بل الاثنان معًا!...
"اسمه عليه"، كأنه قدر مرسوم...

كمال الحاج فيلسوف مسكوبيّ، منذور لرسالة اسمها لبنان.

في بداياتنا، عرفناه متألّفًا، يملأ المجالس والصحائف... يومها كانت المنابر للعمالقة... وكان هو الفيلسوف!...

عندما تولّيت وزارة التربية الوطنيّة والفنون الجميلة، تلقّيت من كمال الحاج هديّة غالية، هي كتابه "موجز الفلسفة اللبنانيّة". وقد تمّ إدراجه رسميًا... في المنهاج الدراسي على منابر الجامعة اللبنانيّة... إنّه رائد الفلسفة اللبنانيّة بلا منازع... ظاهرة فريدة في مضماره، أضاءت خمسًا وعشرين سنة من منتصف القرن الماضي... كمال في صيغة الحضور، لا الغياب، لأنّه من المستقبل جاء، ويبقى ماثلاً في الزمن الآتي... شهيدًا عبقرًا.

إدمون رزق،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

نحتفل بولادة الفلسفة اللبنانية على يديه. ونحتفل بولادة النضال اللبنانية على قلمه. ونحتفل بلغة فلسفية خلّاقة مبدعة متميّزة على مدار يراعه. نحتفل... بذهن متوقّد ما يزال يشقّ لنا الطريق نحو صرح العقل، وبمعدن براق لا يزال وهجه يلفحنا كلّما استبدّ بنا وبالوطن صقيع الأيام القاسية، وسيظلّ يلفحنا اليوم وغدًا وبعد غد.

أمين ألبرت الريحاني،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

استطاع كمال الحاج أن يخرج لبنان من معادلة الصدفة التاريخية العابرة، ويضعه في خانة البلدان الواجبة الوجود، كمثل، لا تقوى قوى الموت على إلغائه، لبشرية متصالحة مع ذاتها في الاختلاف والغيرية... [إنّه] شهيد رسولية الكيان اللبناني.

الأب جورج حبيقة،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

عرفته أستاذًا عندما عاد من باريس... كان يجمع بين التعليم والحوار، لا بل إنّ تدريسه كان حوارًا لا تنقطع فيه غزارة الفكر وحرارة العطاء والرغبة في الإقناع... كلامي في كمال الحاج لا تلخصه كلمة، ولا يُجمع في جملة، ولا تضمّه دفنًا كتاب. إنّ شعور بالإعجاب والامتنان والتقدير لا حدّ له. يُنصف كمال الحاج عندما تنهل منه الأجيال عصارة تجربته وتحفر في واقعها ومستقبل أيامها ما قدّمه لها. كان رجلًا، والرجال لا يُقاسون بأزمانهم فقط.

جوزف أبو جوده،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

كان شغوفًا بالريح... يغني في دروب لبنان الصعبة، ويقيم في ذروة الخطر... تكتشف في قرارة الفيلسوف الشفاف شاعرًا، وموسيقياً، وقد تقع على المصارع والملاكم، فهو ممّن يجهرون لا ممّن يهمسون... من أشدّ المفكرين سبرًا للأعماق وخرقًا للآفاق، ومن أعظم اللبنانيين بحثًا عن هوية ورسالة ودور، ومن أوفر المدافعين عن لبنان جسارة وحرارة وحماسة.

دياب يونس،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

الفلسفة اللبنانية... .

قبل كمال يوسف الحاج، هذا الأفهوم لم يكن.

وقبله، هذا القران اللغويّ-الفكريّ بينها وبين العربية ما كان ليكون.

إنّه أقنوم جديد في عمل الخلق الفلسفيّ الدهريّ.

مع كمال يوسف الحاج فترج العقلُ التحلّيّ الشعشعائيّ للفلسفة اللبنانية المتوعّلة... .

مع هذا القائد الفكريّ برز... لبنان، المغرق في "ليس" التفلسف، إلى "أيس" الفلسفة.

ومع فارس اللغة هذا، اندفعت العربية من جديد، في مضمار البيان العقليّ، أفراسًا مجنّحة تستعيد مواقعها لمطاردة الزمان.

فكتور الككّ،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

عندما كنّا في الجامعة اللبنانية، كان كمال الحاج يأسرنا بعلمه الواسع وصدرة الرحب لكلّ مجادل ومناكف... كان عاشقًا لغة الضاد، التي أسلمته شرف الدفاع عنها والتفلسف بها لإبداع فلسفة لبنانية عربية. كان سقراط لبنان وأفلاطونه... سيحفظه لنا التاريخ منارة خالدة، وسيبقى، إذ ينهض اليوم كاتبًا فلسفيًا فداً يقرأه لبنان والعالم على مدى الأزمان، فيلسوف لبنان الأوّل، ورائد الفلسفة اللبنانية بامتياز.

مهدي فضل الله،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

فلسفة الحاج هي فلسفة التناغم بين العقل والإيمان... فلسفة تُلاطفنا بين واقعيّة ومثاليّة. بين تأرّض وتسامٍ... لتعبّر بنا حدود العقل وبراهين الحسّ إلى عفويّة الشعور وبراءة الشهادة.

إنّها فلسفة لزماننا... فلسفة حاضرة بالدم النقيّ الذي سال يومًا فوق تراب لبنان، فحملته الريح لتشره شهبًا تزيل الغمامات السوداء عن فضاء ذاكرتنا، ليهبط النور وتعانق الأرض السماء.

هي فلسفة حاضرة العين، طالما أنّ محوريّة الإنسان على المحكّ، وطالما أنّ لبنان في اللهب، والعروبة في الميزان... .

وإذا كان كمال الحاج يعود إلينا اليوم عبر إعادة نشر مؤلفاته... هو الذي التصقت فلسفته بلبنان، فليُسمح لنا أن نسأل ما إذا كان ثمة أقدّر من الفلسفة اللبنانيّة، تلك التي زاوجت بين النظر والعمل، وبين الأخلاق والسياسة، على أن تكون مدخلاً لخلاص لبنان.

ناصر قزي،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

كمال الحاج ملاً فصلاً مشرقاً في كتاب الفلسفة في لبنان، وله فصل مرموق في كتاب الجامعة اللبنانيّة استاذاً وعميداً ومعلّم شباب... مدهشة بساطته. مذهل تواضعه وزهده... فريدة ثقافته التي زادت بساطة وتميّزاً... قال فلسفته في مختلف نوادي الفكر والعلم... ومشى إلى خلوده شهيداً في وضوح نهار شرس. لم يكن الجلال يدرك أنّ هذا الشهيد قد كتب خلوده بيده، وأنّ فلسفته كانت أعلى عليه من نفسه.

نور سلمان،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

كمال يوسف الحاج قال بالفكر اللبنانيّ ولم يبلغ سواه (بينما الانفلاشيون نادوا بالفكر غير اللبنانيّ وقالوا بإلغاء كلّ ما هو لبنانيّ)، ومن ضمن لبنانيّته دافع عن اللغة العربيّة ودعا إلى وضع آثار فكريّة فيها (ولم يقده إيمانه بلبنان إلى إلغائها)، ونادى بالفلسفة اللبنانيّة وتراثها الفلسفيّ الطالع من لبنان فلسفة توافقية تعالّية بين الجوهر والوجود ركناً لبناء لبنان (ولم يسع إلى تدمير فلسفات الآخرين)، ونادى بتأسيس الكيان السياسيّ على قاعدة قومية لبنانية (علمية لا انفعالية ولا ردّ فعلية) ذات ابعاد إنسانية وحقوقية، وعمل على تثبيت الوثام المسيحيّ الإسلاميّ في لبنان "نصلامية" ... واجه بها الصهيونيّة بكلّ عقلائيّة علمية وشراسة وطنيّة.

هنري زغيب،

من كتاب كمال يوسف الحاج بعد ثلاثين، جونه - لبنان، مطابع الكرم الحديثة، ٢ نيسان ٢٠٠٦.

####

كتاب "الطائفيّة البناء أو فلسفة الميثاق الوطنيّ"... أفصح عن أفهومة لبنان الرّسوليّ، مكثّفًا إيّاها في كلمة حضاريّة ممتازة اجترحتها رؤيا الحاج... "النّصلامية"... هذا المصطلح، الجسّد رسالة لبنان، عادت أصداؤه لتتجاوب في صوت البابا يوحنا بولس الثاني، القدّيس، عشرات السنين بعد كمال الحاج، فجاءت المقولة البابويّة الشهيرة حول لبنان الأكثر من وطن، لبنان الرسالة. هل هي مصادفة، أم نعمة، أم قصدٌ ربّانيّ، أن ينتقل هذان الخالدان باليوم والشهر، في الثاني من نيسان، الى رحاب الملكوت

بفارق تسع وعشرين سنة؟ أيكون هذا التماثل في عروق الزمان إيماءة من العلاء أن احفظوا الأعجوبة اللبنانية لا تحت المكيال، بل على المنارة؟

بسلام براك،

وثائقيّ حول كمال يوسف الحاج عرض يوم صدور مؤلفاته الكاملة، جامعة سيّدة اللوزة، ٢٩ آذار ٢٠١٤.

###

يشغل سرُّ يسوع المسيح، الإله المتأنس وفادي الإنسان، مركز الصدارة في فكر الفيلسوف واللاهوتيّ كمال يوسف الحاج، ويتسنّم عرش عقله وقلبه، ويستأثر بصفوة لسانه وقلمه... كان هذا الفيلسوف العلاميّ، في حياته، رسولاً ومبشّراً يتسابق كبار رجال الدين وعلية القوم إلى دعوته كي يُحدّثهم عن المسيح وبشارته.

وكثيراً ما كنّا نراه يتردد، في أوقات معيّنة، على دير الكُريم للآباء المرسلين اللبنانيين في غوسطا، حيث يقضي بضعة أيام في الخلوة، والصمت، والصلاة أمام القربان الأقدس، بخشوع مثاليّ ترك أيّما أثر في نفوس الآباء المستنّين، والشبّان والإخوة والمبتدئين، فكان مثاله موعظةً حيّةً لقلوبهم، وعزاءً بليغاً لنفوسهم، وزاداً ثميناً لعقولهم.

الأب إغناطيوس سعاد،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلّد الرابع عشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسيّة كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

###

لم يكن لبنانياً بالصدفة!
ولم يكن فيلسوفاً بالصدفة!
حبل به لبنانُ التاريخ، وأرسِل عملاقُ فكرٍ ملتزم يُغني تاريخ لبنان حتّى تخوم الحقائق الأصل!...
بعقله المدجّج، وبحميّة ساطعة، وبمحبّة للبنان من غير قيود،
حملَ على راحه روحه، ونزلَ معترك "قوّمنة" لبنان...
بيمناه كتاب القومية اللبنانية،
وييسراه سياتُ طرد بها الباعة والمقاولين...
مهما ضيّع ساسة الأفقيّات حاضر لبنان،
مزدرين، عن جهلٍ، ماضيّه،
ومغيّبين، عن عمايةٍ، مستقبله،
باقٍ فكرُ كمال الحاج، العموديّ الملتزم، خيرٍ داعٍ لديمومة لبنان!
وباقٍ كمال الحاج، في عين التاريخ، سيّد الفكر القيم على مدمكة القومية اللبنانية الإنسانيّة!

الياس الحاج،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلد السابع، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

####

أتذكّر الدكتور كمال يطلّ علينا في بكركي: السبحة الوردية بيد والأوراق بيد، والطيبة على الحياء، والثقة في الخطوات، والوقار في نبرة الصوت، والوداعة في الروح، والسلامة في الطوية، والحمية في حبّ الصرح وأسياده، والوضوح والعمق في الموقف، والتجرّد من كلّ مأرب شخصي، والصدّاقة المميّزة التي خصّني بها وكانت عنوان اعتزاز لي. وأشهد أنّ خطابه، إن في الإيمانيات أو في الوطنيّات، كان دومًا رزينًا وقويًا ومحطّ اعتبارٍ بالغ في وجدان السادة البطارقة الذين عاصرتهم، وأنّ كتاباته في الفلسفة والآداب والقضيّة اللبنانيّة، كما محاضراته الروحية، كانت الأقرب إلى أذهانهم وقلوبهم...

ذات يوم حُطِف من أمام منزله على أيدي جُنّاة كافرين سلخوه عن قيد الحياة بأشنع ضراوة، وفي ظنّهم أنّهم نفّوه إلى عالم الظلام وحبّة الخفاء، وقمعوا صوته، واغتالوا حضوره. يا بسّ ما ظنّوا، ويا ضلالاً ما حَسِبوا! لا شرّ في العالم، مهما عَشَم وقتك، يستطيع أن يصرع الخير. لا فأس في العالم تستطيع أن تصرع رؤيا كمال يوسف الحاج الفلسفيّة الباذخة الشاملة، ونضاله الفدّ من أجل كرامة لبنان ورفعته الكنيسة فيه، وإرثه الفكريّ الواسع في شتى الحقول - ولا سيّما في "النصّلاميّة" الميثاقية -، ومواقفه الديمقراطيّة الإنسانيّة السمحاء...

أمسه لا يشيب في قلوب اللبنانيين... وغمده لن يغيب عن ضمير البشر.

المنسيور إميل شاهين، (أمين سرّ البطارقة الموارنة المعوشي وخريش وصغير)

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المجلد الثاني عشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

####

أبعد من جميع التعليقات، يبقى البيان الكمّحجيّ فنًا كتابيًّا قائمًا بذاته، وصرحًا لسانيًا يمتّع الذائقة، حيث يتجلّى الفكر واضعًا صافيًا نقيًا كأبهى ما يكون عليه الوضوح والصفاء والنقاء، وحيث يتدامج المعنى بالمبنى، والمبنى بالمعنى، تداجمًا كيانيًا يستحيل معه الفصل بينهما. "لقد حُطّ الوصل، وألغِيَ الفصل." لذا ليست دقّة التعبير عند الفيلسوف الحاج، ومتانة السبك، ولباقة الصياغة، والحرص على انتقاء المفردات وتهذيبها، "ظاهرًا كلاميًا وزخرفًا سطحيًا، بل وسيلة ضروريّة صحيحة لسبر الأعماق... فكأنّ المؤلّف يضعك أمام جلال الكلمة، ويُشعرك كم هو يحترم حرمتها، كم هو متحسّس بحالها من الجلال، وقد اقتربت بالمفاهيم الإلهيّة بالذات في كلمة الله".

أنطوان مكرزل،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلد العاشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

####

أسلوب الحاج إشكاليّ في حدّ ذاته: فهو جماليّ حتّى في تشكّل محتوى المتتالية التفسيرية، حيث إنّ تركيز الكلام على السياق، واستخراج الأمثلة والشواهد من الحياة اليومية ومن التاريخ والبحوث، يفترضان، حكماً، بناءً مجملياً قائماً على مبدأ الملاءمة الإسنادية. إنّ بنية الحاج اللغوية بنية متنامية في حيّز الإبداعية، حيث الإيجاء والإيماء، وعلاقة الانزياح بين التراكيب، والتركيز على المستوى الصوتيّ للغة، وانتقاء المفردات، وحسن التوقيع لتوليد الإيقاع.

لقد غرس كمال يوسف الحاج، في حياته، بذور فلسفة لبنانية نديّة رواها فكر وثّاب، وغدّتها إنسانية جامحة، وشدّها براغ عربيّ لمّاح، فإذا بمجموعة المؤلفات الكاملة روضةً فيحاء تعبّق بأريج كلّ حقّ، وكلّ خير، وكلّ جمال، وإذا بالمجلّد الثالث عشر ضمّة أزاهير ربعية تمدي تألّفها وغناها لكلّ نفسٍ شغوفٍ بالتميز، ولوعٍ بالمختلف...

بولين عويجان،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلّد الثالث عشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

####

فرادهُ كمال الحاج أنّه كان يفتش عن فرادة، فلا يُقلّد، ولا يُداهن، ولا يُراود، ولا يُغار، ولا يُحسد، ولا يكره، ولا يتصنّع، ولا يُثافق، ولا يُناور. مصادرُ غناه خزينٌ مدهش، في باطن وجدانه، من عطايا الربّ... هذا المحرّك المتوهّج بطروحاته وتفسيره... كان دائماً وأبداً، عندنا، "حجر الفلسفة" الذي يحوّل المعادن الصدئة إلى ذهب خالص.

جورج شامي،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المجلّد الثالث عشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

####

لقد خلّبتة الذات اللبنانية، وهي حصيلة آلاف السنين الماضية، فأسر جوهرها عقله، ثمّ راح يعمل بشغف ليعكسها على آلاف السنين الآتية، [مشحوناً بـ] جاذبية الشواهد... [أي] الإيمان الراسخ بالتزاوج بين الفكر المثاليّ والعمل الواقعيّ.

الأب جورج كراج،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلّد الحادي عشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

####

إنّ ورشة كمال الحاج الفكرية حول الفلسفة اللبنانية، وإنّ لم تصل بعد إلى طور التحقق الكامل، تبقى لنا طاقة تنزود بها في تفكيرنا وعملنا الأكاديميّ وفي كتاباتنا ومشاريعنا الثقافية. وما يُقابل هذه الورشة الكمّحجية هو تحقيق فريد جبر الفلسفيّ اللبناني، الذي شاءه صاحبه مُبلّورا بلغة عربية سامية لها رؤيتها الفلسفية الخاصة في الإنسان والحياة والكون. علّمان لبنانيان شامخان أرسيا أصولَ فكرٍ فريدٍ وكمالٍ مُبتغى.

جيرار جهامي،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلّد الرابع، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

####

"ليتني تكهننت!"

هكذا يكتب في ختام محاضرة ألقاها في ٢٥ شباط ١٩٧٣. لا أدري إن كانت هاتان الكلمتان بمنزلة نداء استغاثة أطلقه الفيلسوف إلى مستمعيه آنذاك، ولا سيّما الأساقفة. لكنهما حتماً ليستا نداء حسرة وندم على زواجه وأسرته. إنهما، في ظني، فعل احترام عميق وجيليل لكرامة الكهنوت...

لو كان الكهنوت يُمنح بعد الممات كما الأوسمة التكريمية، لكنتُ أوّل من طلبه لهذا المشغوف بالمسيح، لهذا الذي كان كاهناً أكثر من أيّ كاهن.

بصراحة، لسْتُ مندهشاً أبداً بهذا "الكمال الحاج"، الحاجّ على دروب الكمال والمشتهي، بعد عرش الفلسفة، كرسيّ المذبح. فأنا، إذ أقرأ نداءه هذا، أستحضر صورة أستاذه في جامعة ميونيخ، الفيلسوف الألمانيّ فولفغانغ شتيغمولر، وصورة الطبيب الفرنسيّ مارك أوريزون. كلاهما طمحا إلى الكهنوت وحصولا عليه. لكنّ كان قاسياً ذاك الموت الذي حرّم كمال الحاج هذه الغبطة، مستبدلاً حلم الكهنوت لديه بنعمة الاستشهاد! وإذا كانت الذبيحة ترنّس بالدم، والجسد يتنجّس به تعبيراً عن روحه السماويّة، فكمال الحاج صار كاهناً لحظة استشهاد. لقد حقّق المسيح الكهنوت الجديد عندما بذل دمه على الصليب فداءً لبني البشر. ولعلّ كمال الحاج حقّق حلمه الكهنوتيّ يوم بذل دمه فداءً للبنان!

الأب مالك أبو طانوس،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلّد الثاني عشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسبسيّة كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

###

اقتزنت الفلسفة اللبنانيّة باسم كمال يوسف الحاج لأنّه كان من أشدّ الناس لهجاً بها، وغيره عليها، وغزارة نتاج فيها. فالحاج صاحب مشروع فلسفيّ لم ولن يكتمل، شأنه في ذلك شأن كلّ المشاريع الفلسفيّة الأخرى، ولكنّ ميزته الباقية هي أنّه برسم التعمير المطرّد والخصوبة المتنامية... كمال الحاج هو حالة خاصّة في تاريخنا الفكريّ المعاصر، إذ أدخل نمطاً فكريّاً لم يكن مألوفاً، وأنزله إلى ميدان التداول في الجامعات ومجتمعات النخب الفكريّة والسياسيّة. أراد فلسفة لبنانيّة من أرضنا، ومن صميم ذاتنا، ومن فضائنا الحضاريّ... لا دعاة القوميّة اللبنانيّة أحاطوا بأبعاد الفلسفة اللبنانيّة، ولا دعاة القوميّة العربيّة استكنهوا فحواها، وهذا مؤسف حقّاً. فكان أن لحق بمشروع الحاج ما لحقه من جرثومة الاختلافات والاصطفافات التي ما برحت تفتك بحياتنا السياسيّة والاجتماعيّة، وحتماً بحياتنا الفكريّة. بيد أنّ هذا المشروع واقعيّ بامتياز، إذ ينطلق من أصالة وجداننا ووجودنا، ومن المكوّنات المنحوتة في أذهاننا وفكرنا.

محمّد عليّ العربيّ،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلّد الثالث، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسبسيّة كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

###

خطاب كمال الحاج لا يسكنه النقص. لا يدفع الفكر إلى البحث عن مرجعية مفارقة. إنّه يستمدّ ثقته من تلك التي منحها المسيح لكلّ المسيحيين كي يكونوا أهل الخير الموصوف والمبزة الإنسانية. يؤمن الحاج بأنّ لبنان لن يتوقع على رخاوة داخلية تمنعه من الانطلاق إلى الأرحب، حتى لا تكون الوطنية حادثاً طارئاً همّه الإفلات من أثر انكسار الهوية تحت طائلة ضغط سياسي، ومن اصطدام الذات العربية بالمشروع الثقافي الغربي المتجه نحو الكونية. الاقتتان الحاصل بين الحقّ في التفلسف والحقّ في إعادة تسليط الأسئلة على الذات هو وحده ما يقدم إبداعات ثرية. إنّ سؤال الفكر، وقد اكتسى حُلّة الكليّ في هذا المجلد، يثير انفعالاً إدراكياً، وانبهاراً بالمعنى، واحتفالاً متجدداً بفهم الدلالات.

لقد شفتّ كمال الحاج عن مراسٍ هائل في إثبات الحقيقة الأولى.

وفاء شعراني،

"النصلاية إزاء الصهيونية" في مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلد التاسع، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

###

لم يجد اللغويون الأقدمون حرجاً في تصنيف الناس، بل شعروا بحاجة تدفعهم إليه. فالإنسان في لغة "سومر" هو "لو" في المطلق، لكلّ الناس. ولكنّ هناك من هو أكثر من ذلك، أي من يتعاون، ويشارك الآخرين، ويحمل مسؤولية في المجموع. هذا استحقاق منهم تكرر التسمية، فغدا تعريفه "لولو"، أي إنساناً جدّاً. ولم يضيفوا تكراراً ثالثاً، ولو كانت الإشارة إلى الملك. فهذا له صفة "لوغال"، أي إنسان كبير...

لو جاءني، خلال هذا النهج السومريّ، من يطلب منّي تعريف إنسانية فقيد لبنان الكبير، المفكر كمال يوسف الحاج، لاشرتت إبقاء الحرية لي كي أورد تكراراً إضافياً ثالثاً أصف به ما كان عليه إنساننا الكبير من نبل وجدّة... لم يسألني عن طائفتي أو اتجاهي السياسي، بل رأني كما أنا وكما لا أزال، وهو ما كان يرسمه في ذهنه من أجل كلّ اللبنانيين. فهل أكون مبالغاً إن طالبت بصفة استثنائية مضافة إليه؟ إنّه إنسان إنسان إنسان... في كلّ لغات العالم، وسيبقى بالنسبة إلى النموذج للاقتداء.

يوسف الحوراني،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المجلد الثالث عشر، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسسية كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

###

اعتبر الحاج أنّ الوضح الذي كشف له لاهوت الكلمة العربية هو من "الهنهات المكوكبة" الفدّة في حياته، فكتب: "مثل هذا الفكر زبد نادر. وقد شاءت ظروف أن أعيشه، في إحدى هنيهاتي المكوكبة، المشعّبة بما نفسي، حين أمطت اللثام عن حقيقة الثالوث الأقدس في اللغة العربية." وكانت منيته الحازة أن ينتقل من الكتابة في فلسفة اللغة إلى البحث في دين اللغة "للتوفيق بين المسيح والقرآن في ذات الله"، لكنّ فأس الشرّ صرعته باكراً. صرعت جسده الهزيل، ولكتّها لن تصرع فكره الأثيل. لقد أثبت كمال يوسف الحاج أنّه لم يكن رقماً من أرقام الأعلام اللغويين، بل هو الرقم الأصعب؛ وأنّه لم يكن ظلّاً لأحد، بل هو الظلّ

الذي سيتفياً أهل الفكر واللغة والوجدان. ولئن لم ترجمه من الاستشهاد أيقونة جريح على صدره، فقد كرسه آثاره الباذخة، المرقومة بحروف الأرض وأنوار السماء، أيقونة على صدر لبنان.

يوسف عيد،

مؤلفات كمال يوسف الحاج الكاملة، المدخل إلى المجلد الرابع، ط. ١، جونه، بيت الفكر - أسس كمال يوسف الحاج، ٢٠١٤.

###

...بول كلوديل الشرق

مار بولس بطرس المعوشي، (بطريك أنطاكية وسائر المشرق، بكركي)،

الحاج، يوسف كمال (تنسيق)، فلسفة كمال يوسف الحاج في نصوص مختارة، جونية، بيت الفكر - أسس كمال يوسف الحاج، ط ١، ٢٠١٥، ص ٢٥١. هو اللقب الذي أطلقه عليه البطريك مار بولس بطرس المعوشي وذهب قولاً مأثوراً.

###

إنّا، بأسطرننا هذه، نعلن أنّ احتفالات المئوية الأولى لولادة الفيلسوف اللبناني كمال يوسف الحاج، المنطلقة في ١٧ شباط ٢٠١٧ والممتدة لسنة كاملة، هي تحت رعايتنا وتحظى ببركتنا الرسولية ودعمنا الكامل الشامل، نظراً لقيمتها الوطنية الكبيرة.

هذه المئوية هي موعد مميّز مع علم كبير من تاريخنا وإرثنا اللبناني المجيد. فكمال الحاج هو أبرز من رسخ الكيان اللبناني على عقيدة قومية إنسانية صافية. وكمال الحاج هو أفصح من بشر بحضارة "نصلامية" توائم بين مسيحية الناصري وإسلام المصطفى وتجسد رسولية لبنان الفدّة. وكمال الحاج هو أكثر من وعى أننا شعب فيلسوف عبر التاريخ، وأنّ الذات اللبنانية التاريخية المتفلسفة هي أرفع تعبير عن عشقنا الدائم للحقّ والحريّة. وهو أنبل من انتصر لحقيقة اللغة العربية في تكوين لب الشخصية اللبنانية وعقلها. وقد جمع، إلى كلّ تلك السامقات، وداعة في الروح، وطفولة في القلب، وحمية مخصوصة في حبّ هذا الصرح وأسياده. وقد بادله أسلافنا هذا الحبّ، كما كانت كتاباته محطّ اعتبار بالغ في وجدانهم. وعلى مثال الفلاسفة الخالدين جمع بين الإيمان والعقل في أروع تقويم، إن في حياته أو في نتاجه، وبين التقوى المريمية وذرى العرفان التصوّفي في محاضراته العظمت التي ألقاها في حقبة العمر الأخيرة. وكان له جزء أصحاب المدارس العظام في العقيدة والإيمان، إذ عمّد شهادة الكلمة الفاخرة باستشهاد الدم الطاهر.

كمال يوسف الحاج، فيلسوف لبنان، سيقى أرزة ربّانة في الضمائر والدهور، وإيماءة من العلاء بأنّ لبنان في جزر الله وفي موكب الأوطان المنارات، الفارعة كالنخل والوارفة كالأرز لتشدو عاليًا نشيد الحقّ والسلام والحياة.

لأجل كلّ هذا نوصي، مع التشديد، جميع المراجع الرسميّة، والقطاعات البلديّة، والمؤسّسات التربويّة، وهيئات المجتمع المدنيّ، وأصحاب الأيدي البيضاء، بدعم كلّ مبادرة تكريميّة في إطار المئويّة الأولى لتخليد ذكرى هذا الملقان المجيد، الشاهد حتّى ثمالة الدم لحقيقة لبنان ورسالته ولكرامة الإنسان وعزّته. وإنّنا نبارك كلّ مسعى وكلّ مبادرة تحقّقًا لهذه الغاية النبيلة.

مار بشاره بطرس الراعي،

من إعلانه البطريركيّ بصفته راعيًا للاحتفالات المقامة احتفاءً بمئويّة ولادة كمال يوسف الحاج، بكركي، ١٩ كانون الثاني ٢٠١٧.

####